من الذاكرة الكوردية

قاضي محمد.. مؤسس أول جمهورية كوردية في التاريخ

قاضي محمد (الى يسار الصورة) والى جواره رئيس أركان جيش جمهورية مهاباد الزعيم (ملا مصطفى البارزاني)

(قاضي محمد) هو رئيس (جمهورية كوردستان) التي أعلنها الكورد في العام (١٩٤٦) بكوردستان إيران، وكانت عاصمتها(مهاباد).

ولد (قاضي محمد) في مدينة (مهاباد) ,١٩٠١ والده هو القاضي (علي بن قاسم بن ميرزا احمد)، وأمه من عشيرة(فيض الله بك) الذائعة الصيت في مملكة موكريان. ويعدّ (قاضي محمد) واحداً من ألمع الشخصيات في التأريخ الكوردي، إذ كان يتمتع بثقافة واسعة بسبب تبحره في أمور الشريعة والفقه الإسلامي والدين، وإتقانه اللغة العربية والتركية والفارسية والفرنسية والإلمام باللغة الإنكليزية والروسية إلى جانب لغته الأم الكوردية، فضلاً عن شخصيته الساحرة التي تثير محبة وتعاطف كل من يقابله، وتواضعه وشجاعته وأيمانه العميق بحقوق شعبه في الحياة وضرورة النضال من أجل تحقيق هذه الحقوق المشروعة. وبالرغم من انحدار (قاضي محمد) من أسرة غنية في المنطقة، إلا أن ذلك لم يدفعه إلى الغرور أو الابتعاد عن معاناة شعبه، فتميز بعلاقاته الوثيقة بين أوساط الفقراء والمعدمين وحرصه على تلبية حاجاتهم ومساعدتهم في حل مشكلاتهم وتجاوز أزماتهم، من خلال حرصه على الاستماع إليهم والرد على أسئلتهم الدينية والشرعية والدنيوية. كما كان يدعو إلى نشر التعليم والثقافة بين الكورد من اجل مواجهة الاضطهاد والظلم الذي كان يقع عليهم. وخلال سنوات حياته كان (قاضي محمد) متفهماً للواقع المرير الذي تعيشه الجماهير الكوردية متلمساً معاناة الناس وإحساسهم بالغبن والتغييب الذي يقع على كامل القضية الكوردية، لذلك فقد كان يكرس كل وقته وجل اهتمامه في مصلحة الأكراد والتطلع نحو مستقبلهم وحياتهم ليس في منطقة (مهاباد) فحسب، بل في مجمل المناطق التي تعيش فيها المجتمعات الكوردية. وقد يكون لموقع مدينة (مهاباد) وقربها من مناطق الحدود مع الاتحاد السوفيتي تأثير في تركيز (قاضي محمد) على المطالبة الشعبية لحقوق الكورد، نظراً لما لمسه من احترام لحقوق القوميات والشعوب في (الاتحاد السوفيتي) بوصفه النصير الجديد والقوي لحقوق الشعوب و لحركات الثورة والتمرد على الظلم والاضطهاد والاستغلال آنذاك.

في ثلاثينيات القرن المنصرم، انضم (قاضي محمد) إلى حزب (خويبون)، الذي أعلن نضاله في العام ١٩٢٧ بمعاونة (إحسان نوري باشا) في كوردستان الشمالية. وفي العام١٩٤٤ تشكلت منظمة كوردية باسم (جمعية الإحياء الكردي)، مهدت لقيام الحزب الديمقراطي الكوردستاني في إيران، الذي أصبح (قاضي محمد) من مؤسسيه. وكان برنامج هذا الحزب يتلخص بتحقيق الحرية في إيران، والحكم الذاتي لكوردستان داخل الحدود الإيرانية، والإخاء مع الشعب الأذربيجاني وكل الأقليات غير الفارسية.

وفي ١٩٤٥/١٢/١٦وسط جمع غفير في ساحة (جوار جرا) في مهاباد، وفي أجواء احتفالية كبيرة أعلن (قاضي محمد) في ذلك اليوم التاريخي انقطاع منطقة موكريان عن حكومة طهران، فنكسوا علم حكومة طهران من المؤسسات والمدارس ورفعوا علم كوردستان بدلاً منه.

وبتاريخ ١٩٤٦/١/٢٢ أعلن قيام (جمهورية كوردستان) بقيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني، وسط ظروف شائكة ومعقدة، وأصبحت مدينة (مهاباد) عاصمة للجمهورية الفتية. وأمام العالم ووسط أكبر ساحة من ساحات العاصمة تم انتخاب (قاضي محمد) أول رئيس للجمهورية الكوردستانية ، وكان حاضراً هذه الاحتفالات المهيبة وفود من جميع أطراف منطقة كوردستان. وبعد أن ألقى الرئيس الجديد كلمته، تم ولأول مرة في التاريخ الكوردي رفع العلم الكوردستاني الذي يتشكل من اللون الأحمر والأصفر والأخضر، كما تم طرح البرنامج الكفاحي الشامل للجمهورية. وقد تجسد الحلم المشروع في قيام دولة كوردية على أرض كوردية لشعب يتمتع بجميع مقومات الاستقلالية والدولة الحديثة من دون أن يؤثر هذا على سيادة أو كيان أي دولة من الدول المحيطة بها. وعدت اللغة الكوردية لغة رسمية يتعلم بها الشعب وتلتزم بها الدوائر الرسمية، وتم فتح المدارس وأنشئت الصحافة والمسارح، ودخلت المرأة في معترك الحياة الكوردستانية الجديدة، وقامت علاقات تجارية مع دول الجوار وأهمها العلاقة مع الاتحاد السوفيتي.

لم يكن عمر الجمهورية الكوردية طويلا، إذ حاول (قاضي محمد) التفاوض مع حكومة طهران حول علاقة الجمهورية الكوردية بوصفها سلطة حكم ذاتي، بالحكومة المركزية، فرفضت إيران التفاوض، وأرسلت حملة عسكرية نجحت في قمع الحركة الديمقراطية في كوردستان إيران بوحشية، وقضت على الجمهورية الكوردية بدعم بريطاني – أمريكي، وتمكنت من استعادة (مهاباد) وبسط سيادتها على الإقليم بعد أن انهارت الحركة الكوردية.

وفي ٣١ آذار ١٩٤٧، وبعد محاكمة صورية، أعدم رئيس الجمهورية (قاضي محمد) وعشرات آخرون من قادة ومناضلي الكورد في ساحة (جوار جرا) بمهاباد، شنقاً حتى الموت.

رحل الشهيد (قاضي محمد)، لكن فكرة الحرية والحق ظلت حية في ذاكرة الشعب الكوردي، الذي واصل كفاحه لنيل حريته وتحقيق تطلعاته الإنسانية إلى يومنا هذا.

مقدمة في تأريخ المطبوع الكوردي

بدايات الصحافة الكوردية والاستبداد العثماني

(١-٢)

د. كمال مظهر أحمد

ترجمة: صدر الدين عارف

إن لبدايات ظهور الصحافة عند كل شعب تأريخاً خاصاً، وهذا التاريخ مرتبط بأسباب مختلفة ويحتاج إلى توضيح جوانب كثيرة من الحياة السياسية والاجتماعية. إن أسباباً خارجية كثيرة كانت ذات اثر كبير في ظهور الصحافة الكوردية بالإضافة إلى الشروط الخاصة التي كان الشعب الكوردي يعيش فيها، وأحد هذه الأسباب هو ظهور الصحافة لدى الشعوب المجاورة للكورد، و دورها في الحياة الثقافية والسياسية لهذه الشعوب .

لم يكن قد مرّ وقت طويل على اختراع مكائن الطباعة حتى سارع الأوروبيون إلى سبك الحروف العربية، ولكن وصول هذه الأحرف ومطابعها إلى الشعوب الإسلامية تطلب وقتاً طويلا. إن أول جهاز للطباعة أتى به اليهود الهاربون من إسبانيا بسبب جور حكامهم، والذين لجأوا إلى الدولة العثمانية، كان ذلك في عام ١٤٩٤، حيث أقيم في مدينة استنبول واستمر في العمل نحو عشرين عاماً فقط. ثم تلاهم الأرمن في ميدان الطباعة، حيث أسسوا عام ١٥٦٥ أول مطبعة أرمنية في مدينة استنبول، وفي عام ١٧٧٣ تأسست في مدينة (اجمادزين)، قرب يريفان، في داخل أرمينيا ذاتها أول مطبعة مستقلة. ثم أسس اليونانيون في بداية القرن السابع عشر مطابعهم المستقلة في مدينة استنبول.

لقد تأخرت الطباعة بلغات الشعوب الإسلامية التي كانت تعيش ضمن الدولة العثمانية كثيراً بسبب تخلف تلك الشعوب، وكذلك بسبب السياسة العمياء التي كان السلاطين يتبعونها. ويقال أن السلطان (بايزيد الثاني) أصدر عام ١٤٨٣ أمراً يمنع بموجبه الطباعة وفرض حكم الإعدام على من يخالف ذلك الأمر. وقد أعاد السلطان (ياوز) فرض ذلك الفرمان (الأمر) عام ١٥١٥, ورغم وجود شك في صحة هذه الأوامر، إلا أن الثابت أن القوانين لم تكن تسمح لمطابع الأقليات الدينية بأن تطبع أي شيء باللغتين التركية والعربية .

وقد تجاوز الأمر ذلك الحد حينما عدّ بعض السلاطين طبع الكتب، وبالأخص الكتب الدينية، كفراً. وتذكر بعض المصادر التركية كيف أن السلطان (محمد الرابع) (١٦٤٨-١٦٨٧) أمر بإلقاء المصاحف المطبوعة التي جلبها أحد الأوروبيين في البحر، كما أمر بإلقاء الأحرف العربية التي أهديت إليه من مدينة فينسيا (البندقية) في البحر أيضاً.

لقد أدرك مثقفو الدولة العثمانية في وقت مبكر أهمية المطابع، فحاول عدد منهم استيرادها إلى البلاد في بداية القرن السابع عشر، لكن تنفيذ هذا الأمر لم يكن هينا للأسباب التي ذكرتها. ولكن وعلى الرغم من كل المعوقات، فإن الأنشطة الطباعية خطت خطوات واسعة نحو التقدم في الدولة العثمانية، وكانت تلك بداية جيدة لظهور الصحافة في هذا البلد.

لقد ظهرت الصحافة، شأنها شأن الكتب المطبوعة، على أيدي الأقليات الدينية. وقد أسس الأرمن صحافتهم القومية داخل الدولة العثمانية في وقت مبكر، لكن أول صحيفة ظهرت عام ١٨٢٥ في مدينة أزمير العثمانية وكانت تنشر باللغة الفرنسية، وظهرت أول جريدة باللغة التركية عام ١٨٣٢ باسم (تقويمي وقايع)، وكانت هذه بداية مهمة في تاريخ صحافة الشعوب التي كانت تعيش داخل الدولة العثمانية. وكانت الصحف التركية (ترجمان أحوال) و (تصوير أفكار) وغيرها متداولة بين القراء الكورد . أما في إيران فقد وصلت الصحافة عام ١٨٥١ إلى مرحلة مهمة وكان لها دور مهم في الحياة اليومية للمجتمع.

كانت أهمية الصحافة في الحياة السياسية والثقافية تزداد يوما بعد يوم، وكانت الصحافة سلاحاً مؤثرا بأيدي مناوئي الدولتين العثمانية والقاجارية، فأسس (العثمانيون الجدد) ومن بعدهم حركة (تركيا الفتاة) عدداً من الجرائد والمجلات داخل الدولة العثمانية وفي خارجها. وقد أصدر الثوار الإيرانيون في بداية الثورة الدستورية (١٩٠٥-١٩١١) ما يقارب(١٥٠) جريدة و مجلة مختلفة، من بينها صحف تطبع ما بين(٥)آلاف إلى (١٠)آلاف نسخة، وكانت أهمية الصحافة تزداد يوما بعد يوم عند العرب والأرمن.

إن هذه الجهود قد أثرت بلا شك في الحياة الثقافية والسياسية للشعب الكوردي، وشكلت حافزاً قوياً لمثقفيهم بالتفكير في إنشاء صحافة خاصة بهم. مع ذلك فقد تأخر العمل الصحفي الكوردي كثيراً بالمقارنة مع الشعوب المجاورة، وكانت حالة التخلف وضعف الطبقة المثقفة السبب الرئيس لذلك. لقد كان بوسع السياسيين الكورد إصدار صحفهم من دون أية عوائق، أسوة بالآذريين، ولكن، يبدو أن أحدا منهم لم يفكر في القيام بهذا الأمر الضروري، على الرغم من اشتراك الآلاف من أبناء الشعب الكوردي في هذه الثورة العظيمة.

كانت الحركة الصحافية بحاجة إلى وجود أعداد كبيرة من المتعلمين والى تطور ونمو طبقة مثقفة كإحدى ضرورات الحياة الثقافية بحيث تشكل حالة تتعارض مع عدم وجود صحافة قومية. ولكن هذا التغيير كان اكثر بطئاً بالمقارنة مع الشعوب المجاورة، إلا أنه أصبح اكثر إلحاحاً مع الولوج إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث أصبح الاهتمام بالتعليم أحد شعارات الحركة الكوردية.

وهنا تجدر بنا الإشارة إلى أن المدارس الدينية كانت تتمتع بمكانة بارزة في كوردستان، ولقد تخرج من هذه المدارس علماء و مثقفون بارزون يتمتعون بالحس القومي وكان لهم دور بارز في تطوير الحياة الثقافية للشعب الكوردي، كان من بينهم (حاجي قادر الكوئي) و (ملاى كه وره- الملا الكبير) اللذان اهتما كثيرا بالأدب القومي إلى جانب أداء واجبهم الديني.

كذلك فإن اتباع الأساليب الحديثة في التعليم كان قد بدأ في كوردستان منذ النصف الثاني من القرن التسع عشر. وكان التعلم في المدن الكوردية الكبيرة كديار بكر أكثر تقدماً، كما كانت العلاقات الثقافية اكثر رسوخاً، وكان لأخبار التطورات التي تحدث في أوروبا الغربية والتي تصلها من العاصمة عن طريق العلاقات الثقافية تأثير كبير في الطبقة المثقفة الحديثة النشوء في تلك المدن، كما كان هناك تجمع للمتعلمين الكورد في مدينة استنبول يعملون كموظفين هناك أو طلاب علم في المراكز العلمية والعسكرية، ومنهم من سافر إلى أوروبا للدراسة أو للعمل في السلك الدبلوماسي؛ هذه الأحداث وضعت الكورد في مسارات جديدة، لذا فليس مستغرباً أن يهتم شخص مثل (مصطفى باشا يامولكي)، الذي عاش فترة طويلة في استنبول ووصل إلى أعلى المراتب العسكرية بعد عودته إلى موطنه في ظروف بالغة الحساسية، بالعمل الصحافي. كذلك هو الحال بالنسبة إلى أبناء (بدرخان باشا) و (جميل باشا) الذين اعتبروا العمل الصحفي جزءاً أساسياً من واجبهم النضالي اليومي.

هذه الأمور، بالإضافة إلى اشتداد النضال القومي وازدياد ضغوط السلطات العثمانية والقاجارية، ورسوخ الصحافة كإدارة فعالة بأيدي الشعوب المجاورة للكورد، مهدت الطريق لظهور الصحافة الكوردية، لكن السلطة الدموية للسلطان عبد الحميد الثاني، وأسباباً أخرى سنذكرها لاحقاً، منعت أن تكون ولادة الصحافة الكوردية على أراضيها، لذا اختار الكورد مدينة القاهرة لإصدار أول صحيفة كوردية في التاريخ.

كان السلطان عبد الحميد يحارب، ومنذ اليوم الأول من جلوسه على العرش، كل ماله صلة بالحرية والديمقراطية، فنشر الموالين له في أرجاء استنبول والمدن الكبرى. وتقول الروايات انه كان يتوجب على كل موظف تركي أن يكون مطيعا لقصر يلدز، وكان الأخ يكتب التقارير عن أخيه مقابل مكافآت مخزية. لذا كان من الطبيعي أن تمر الحركة الصحافية بظروف قاسية في ظل حكم السلطان عبد الحميد والذي دام (٣٣)عاماً. كان الحقد اللامقدس الذي كان يشعر به نحو الصحافة الحرة قد وصل إلى درجة كان يتمنى، بعد خلعه من السلطة (عام ١٩٠٩) أن يتمكن من العودة إلى قصر يلدز ليوم واحد فقط لكي ((يستطيع أن يلقي بكل الصحفيين إلى التنور)).

لم يكن متوقعاً، بلا شك، أن يسمح للصحافة الكوردية بأن تصدر في ظل نظام كهذا، لأن أحداً لم يكن ليجرؤ على طلب إصدار صحيفة ناطقة باللغة الكوردية، ولم يكن هناك أمل في أن يلبى طلبه حتى لو طلب ذلك. وهناك سبب آخر بجانب الأسباب التي ذكرناها، فقد كان نظام السلطان عبد الحميد يعارض بشدة الصحوة القومية للشعوب التي كانت تعيش داخل الدولة العثمانية وقد قمع بشدة الحركات التحررية الكوردية وحركات الشعوب الأخرى.

وهكذا، كان على المثقف الكوردي، شأنه في ذلك شأن مثقفي الأقوام الأخرى التي كانت تعيش داخل الدولة العثمانية، أن يفكر في إصدار صحافته في مكان آخر، وكانت مدينة القاهرة ملائمة جداً لتحقيق ذلك الهدف، فعلاقة مصر بالحضارة الأوروبية كانت أكثر حميمية من الدول الشرقية الأخرى، فأصبحت مدينة القاهرة مركزاً لنضال حركة (تركيا الفتاة)، إذ غدت الصحافة وجها بارزاً من اوجه نشاطهم. ويجدر بالذكر هنا أن الجريدة المسماة (اجتهاد) كان يصدرها الدكتور(عبد الله جودت الكوردي) الذي كان أحد مؤسسي حركة (تركيا الفتاة).

وهكذا نرى أن مصر كانت مكاناً ملائماً جداً لولادة أول صحيفة كوردية وأكثرها قربا للشعب الكوردي. وهكذا كان، ففي يوم الخميس المصادف للثلاثين من (ذي القعدة) عام ١٣١٥ هجري، الموافق للتاسع من نيسان عام ١٣١٤ حسب التقويم الرومي، الموافق للثاني والعشرين من نيسان عام ١٨٩٨ ميلادي، أصدر(مقداد مدحت بك البدرخاني) أول صحيفة كوردية في مدينة القاهرة، هي (صحيفة كوردستان)، وقد طبعت في مطبعة (الهلال).

اهتم الكورد والمستشرقون بتاريخ أول جريدة كوردية وأثرها في الحياة الثقافية في كوردستان، فقد كتب (مينورسكى) قبل اكثر من ٦٠ عاماً عن إصدار جريدة كوردستان، وبعدها بعامين (أي عام ١٩١٧)، أعاد (كوردليفسكى) الحدث نفسه إلى الأذهان وكتب ما يأتي: ((في عام ١٨٩٨ صدرت في مدينة القاهرة صحيفة (كوردستان) وبدأ توزيعها بعد ذلك في مدينة جنيف. هذه الجريدة أصدرها كوردي هو (مدحت ابن بدرخان) المشهور وقد منع توزيعها في تركيا)). كما ذكرها مستكردون آخرون وثمنوا دورها الإيجابي. وكتب الدكتور (بلج شيركو) حولها ما يأتي: ((لقد قرر المثقفون الكورد إصدار هذه الصحيفة لتكون لسان حالهم)). كما يعدّ الدكتور (شاكر خصباك) صدور صحيفة (كوردستان) بداية تغيير وانطلاقة جديدة في حياة الشعب الكوردي.

ثلاث قصائد

عبد الله به شيو

ترجمة: صلام برواري

امرأة

أطأطئ رأسي
لـ ((جميلة)) أطأطئ رأسي
لـ ((جان دارك)) و((تريشكوفا)) أطأطئ رأسي
لكن .. لكل امرأة
في أرضي المترعة بالموت
تدوس على كبدها وتصبح أماً
أسجد متضرعاً
وعند قدميها..
أمرغ وجهي في بالتراب!.

إلى فجري

سماؤك ذرى القمم
اخفض رأسك،
اخفض جناحك بذل،
لا تتطلع حتى إلى الشمس ..
إلى السماء إلى النجوم إلى الله،
فمن لا يملك شبر أرض محررة
أين إلهه ونجومه وسماؤه ؟!

الجُندي المجهول

حين يزور وفدٌ مكاناً
يأخذ إكليلاً
إلى ضريح الجُندي المجهول
غداً..
لو جاء وفدٌ إلى وطني
وسألني:
- أين ضريح الجندي المجهول؟
سأقول:
- سيدي..
عند حافة كل جدول
على منبر كل جامع
عند مدخل كل بيت
كل كنيسة
كل مغارة
على صخرة كل جبل
على شجرة كل بستان
في كوردستان،
فوق كل شبر أرض
تحت كل بقعة سماء
لا تتردد..
اخفض رأسك قليلاً ... و..
ضع إكليل وردك!.

عبد الله به شيو

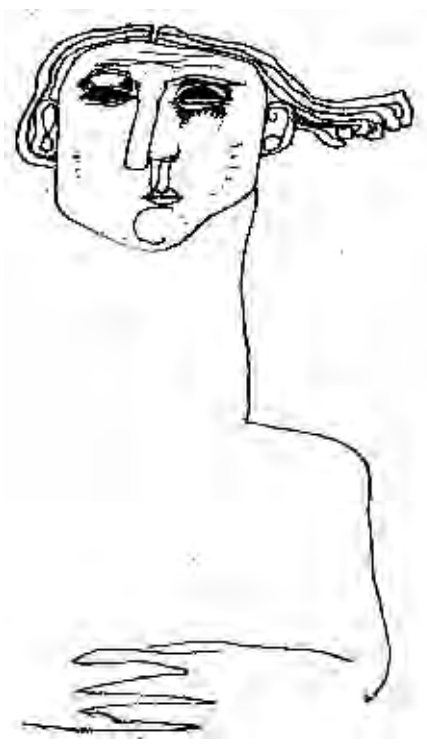

متابعات

إصدارات كوردية حديثة

(دراسات حول القضية الكوردية ومستقبل العراق)

للدكتور منذر الفضل

صدر عن دار (ئاراس) للطبع والنشر في أربيل كتاب بعنوان (دراسات حول القضية الكردية ومستقبل العراق) للمؤلف: د.منذر الفضل. وكان هذا الكتاب قد طبع ونشر في السويد ٢٠٠٣، وقد أعيد طبعه في كوردستان العراق ,٢٠٠٤

(المدينة المتوحشة)

ديوان جديد لـ (أحمد حسيني)

في ديار بكر، صدر حديثاً عن دار نشر Belkî، الديوان السابع للشاعر (أحمد حسيني): (المدينة المتوحشة) Bajarê Dirind، باللغة الكوردية الشمالية (الكرمانجية). في لغته الصعبة والمبتكرة، يستخدم حسيني المجاز بكثافة، المجاز اللغوي والحياتي على السواء. حداثة الشاعر هنا، هي حداثة الباحث عن روح الكورد ومدن الكورد؛ بمعنى حفريات لغوية معذبة، بحثاً عن المفردة الشعرية، التي يمكن الاستدلال بها على نص كوردي شعري معاصر، لكن مع ذلك تطل نبرة الكلاسيك، بين الحين والآخر، ضمن ثنايا هذا الديوان الذي يضم قصائد نثر كوردية بامتياز.

نشاطات ثقافية

ندوة

عقد مركز(كاوه)، امتداداً لنشاطاته الثقافية، ندوة للمفكر(عبد الله صالح) تحت عنوان (علاقات العرب و الكورد: العراق أنموذجاً)، في قاعة مركز كاوه الثقافي بأربيل.

أمسية شعرية

في مركز (كه لاويز) الأدبي/ فرع أربيل، عقدت أمسية شعرية للشاعرة الكوردية المغتربة (فريشته كه وه) بعنوان (أجنحة الملائكة).

معرض

أقام الفنان الكوردي (سيروان شاكر) معرضه الشخصي التاسع بعنوان (أسطورة الحلم المثمر)، في قاعة نقابة فناني كوردستان في دهوك، عرض فيه اكثر من عشرين لوحة تشكيلية عبرت عن أحلامه ورؤيته الحالمة وآفاقه البعيدة . الفنان (سيروان شاكر) من مواليد مدينة (ئاكرى) ١٩٦٨، تخرج من أكاديمية الفنون الجميلة١٩٩٤، له ثمانية معارض شخصية أقيمت في الدانمارك وألمانيا والعراق ، كما شارك في معارض عديدة خارج العراق منها ألمانيا وكوريا الجنوبية وإيران وغيرها، ويزيد مجمل مشاركاته الفنية على المائة مشاركة .